



موقف الشيخ يوسف القرضاوي من الفكر الغربي: الرد على شبهة تعارض الدين والعلم نموذجا

*Sheikh Yusuf Al. Qaradawi's Approach to Responding to Orientalist Suspicions:
A Suspicion Opposing Religion and Science Model*

عبد التواب محمد محمد أحمد عثمان

جامعة الأزهر - القاهرة (مصر)

abdeltawabbothman.4@azhar.edu.eg

جبارة سامية*

مخبر الفقه الإسلامي ومستجدات العصر

جامعة باتنة 1 (الجزائر)

samia.djebara@univ.batna.dz

تاريخ النشر: 2026.07.15

تاريخ القبول: 2026.05.08

تاريخ الاستلام: 2025.12.06

ملخص:

يسلط هذا البحث الضوء على واحد من أهم ميادين الدراسة والبحث في الدراسات الإسلامية وهو علم الاستشراق، وكيف حاول مفكرو الإسلام دحض وتفنيدي آراء بعض المستشرقين، ورد شبهاتهم المغلوطة حول الإسلام؛ دينًا وتراثًا وتاريخًا، ولا شك أن لبعض المستشرقين أيادٍ بيضاء في حقل هذا الاستشراق، والتي بلغت مساهماتهم العلمية والفكرية - إلى حدود تحقيق التراث الإسلامي وترجمته والعمل عليه - مبلغًا يعجز عن أن يصل إليه بعض مفكرينا في العالم العربي الإسلامي نظرًا إلى الاختلاف في الأدوات والمنهج. يهدف البحث إلى إبراز موقف الشيخ القرضاوي من الفكر الغربي والاستشراقي بخاصة، وردوده على شبهاتهم، وخاصة تلك المتعلقة بالحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ومنها شبهة تعارض العلم مع الدين، وقد توصلنا من خلاله إلى أنّ القرضاوي تميز بشمولية الفكر والأفق، وأنه لم يتوان عن استغلال كل مناسبة في كتاباته ومؤلفاته من أجل تفنيدي كل شبهة، والذود عن كل اتهام للإسلام وقضاياه، ممتثلا في ذلك منطق العقل والعلم، وانطلاقا من أدوات الشرع الحنيف.

الكلمات المفتاحية: الغرب، الإسلام، العلم، الاستشراق، الدين.

Abstract:

Sheikh Yusuf Al-Qaradawi's Approach to Responding to Orientalist Suspicions "A Suspicion Opposing Religion and Science Model". This research highlights one of the most important fields of study and research in Islamic studies, namely Orientalism, and how Islamic thinkers attempted to refute and disprove the views of some Orientalists and respond to their false allegations about Islam as a religion, heritage and history. There is no doubt that some Orientalists have made significant contributions to the field of Orientalism, whose scientific and intellectual contributions have reached the point of researching, translating, and

* المؤلف المراسل.

working on Islamic heritage to an extent that some of our thinkers in the Arab Islamic world are unable to achieve due to differences in tools and methodology. This research aims to highlight Sheikh Al-Qaradawi's position on Western thought and Orientalism in particular, and his responses to their misconceptions, especially those related to Islamic civilisation and Islamic thought, including the misconception that science is incompatible with religion. Through this research, we have concluded that Al-Qaradawi is distinguished by his comprehensive thinking and broad horizons, and that he has not hesitated to take advantage of every opportunity in his writings and publications to refute every suspicion and defend Islam and its causes, in accordance with the logic of reason and science, and based on the tools of the true Sharia

Keywords: Islam; Science; Orientalisme; Religion.

1. مقدمة

لا شك أن انتشار الإسلام وتوسع رقعة الدولة الإسلامية أدى إلى تنوع العلوم وظهور علماء ساهموا بمعارفهم ومنجزاتهم في نهضة أوروبا وخروجها من عصر الظلام، وكان للامتداد الزماني والمكاني للفتوحات الإسلامية دور في نشر الإسلام وتوسعه من حدود الصين في غرب آسيا، إلى شمال إفريقيا وصولاً إلى صقلية وإسبانيا، ثم دخولاً إلى أوروبا.

وعلى إثر هذا التوسع أوجد المسلمون حضارة راقية ومتنوعة احتضنت التراث القديم لإنجازات الحضارة اليونانية عن طريق الترجمة، في بيت الحكمة في بغداد، أضافوا إليها كل ما ابتكروه، وألفوا كتباً ومجلدات، وأبدعوا في شتى ضروب العلم النقلية منها؛ كعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الفقه، أو العقلية؛ كالرياضيات والفلك والفلسفة، وكذا العمارة والفنون، وقد مثل كل علم من هذه العلوم علماء بارزون احتفت بهم كتب التراجم.

وقد كان للحضارة العربية الإسلامية أثر كبير على العالم الغربي نتيجة الاحتكاك بغير المسلمين وخاصة بعد إقامة حضارة الأندلس، وتحول أسبانيا إلى واحدة من أكبر بلدان العالم حضارة، بعد أن أضحت قرطبة ملتقى العلم والعلماء، يفد إلى مدارسها وجوامعها عدد كبير من الطلاب من مختلف البلدان والمناطق البعيدة والمجاورة، وراحوا ينقلون مما أنتجه المسلمون من مؤلفات ويقتبسون منها ويترجمون عشرات الكتب إلى لغاتهم اللاتينية، إلى أن ازدهرت حضارة الغرب منذ القرن الخامس عشر، وبفعل تطور حركة الاستشراق التي ساهمت بشكل كبير في إثراء العلوم وتطور الحضارة الغربية، خاصة مع مطلع القرن التاسع عشر.

لقد استطاع المستشرقون أن يطلعوا على تراث العرب والمسلمين، وأن ينفذوا إلى مختلف الأعمال والمنجزات التي كان التراث يحتضنها، فقاموا بجمع المخطوطات المتنوعة وترجمة المؤلفات والكتب ونشرها، مما زاد في انبهارهم بالكنوز التي وجدوها بهذا التراث، بل توصل الأمر بهم إلى نسبة أكثرها إليهم، ثم إطلاق الشبهات والافتراءات على أغلب ما وجدوه فيه، ولا شك أن هناك كذلك تيارات ومدارس

وحركات تغريبية وعلمانية واستشراقية تحاول الإساءة للإسلام وللمسلمين بكل الطرق والأساليب، وتسعى إلى زعزعة أمن واستقرار البلاد الإسلامية، وتشكيك أهلها في ثوابت عقيدتها وأركان دينها. وفي هذا السياق برزت شخصيات في العالم الإسلامي في عصرنا الحديث قيّضها الله لهذه الأمة لتؤدي دورا رياديا في عملية التغيير والتجديد في مختلف القضايا الإسلامية والتصدي لافتراءات المعادين والمغرضين من كل التيارات والحركات، ومن بين هؤلاء المفكرين في عصرنا هذا؛ العلامة يوسف القرضاوي؛ الداعية المجدد والموسوعي فكريا وأدبا، والذي كانت له إسهامات بالغة الأهمية في معالجة قضايا الأمة الإسلامية، كما كان له إسهام في الرد على الخصوم من التغريبين والعلمانيين والمستشرقين بسبب ما أطلقوه من افتراءات وأباطيل وشبهات حول الإسلام ومختلف القضايا والعلوم المرتبطة بهذا الدين الحنيف.

ترتكز الدراسة في هذا البحث على محور الإسلام والعلم، وكيف ساهم الشيخ القرضاوي في إزالة شبهة التعارض بينهما من قبل بعض المستشرقين من أمثال إرنست رينان (1823-1892م)، وليون غوتيه (1832-1897م)، وإجناتس جولدتسمير (1850-1921م) وغيرهم، وتأتي أهمية تلك الدراسة من أهمية مكانة العلم في الإسلام وحتميته في تقدم الأمم وازدهارها، انطلاقا من قوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:11] وَأَنَّ حَاجَةَ الشُّعُوبِ الْمُسْلِمَةِ إِلَى الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ تَمْتَدُّ بِالضَّرُورَةِ إِلَى حَاجَتِهَا لِعُلُومٍ وَمَعَارِفٍ أُخْرَى كَالطَّبِّ وَالْهَنْدَسَةِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْعُلُومِ.

خصَّصَ الشيخ القرضاوي / جهدا علميا وفكريا ودعويا لمواجهة تيارات الجحود والتطرف، خاصة تلك التي سعت إلى التشكيك في الإسلام وشريعته والطعن في الفكر الإسلامي وأصالته، وهو الهدف من هذه الدراسة وسبب اختيارنا لها، كما نسعى من خلالها إلى تتبع منهج الشيخ القرضاوي في الرد على شبهات المستشرقين، باتهامهم الإسلام والقول بتعارضه مع العلم هذا من جهة، وللوصول من خلال فكره إلى أنَّ عنوان وازدهار النهضة والعمران في أي أمة إنما يكون بالعلم والمعرفة، وهو ما تميزت به حضارة الإسلام التي استمرت لما يقارب الثمانية قرون، وهو زمن ليس بالقليل في عمر الحضارات.

وانطلاقا من هذه الأهمية والأهداف تتبلور الإشكالية في السؤال التالي: كيف تصدى الشيخ القرضاوي لشبهة تعارض العلم مع الدين، وما منهجه في التعامل مع هذه الشبهة؟

تطلبت هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث إن المنهج الوصفي التحليلي أسلوب بحثي يجمع بين الوصف الدقيق للظاهرة المدروسة وتحليلها لفهم أسبابها وعلاقاتها بظواهر أخرى، ويعتمد هذا المنهج على جمع البيانات والمعلومات حول الظاهرة ثم تحليلها باستخدام أدوات إحصائية مناسبة لاستخلاص النتائج وتقديم التفسيرات.

وقد ارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى المحاور الآتية:

1- مقدمة وتشتمل على إشكالية البحث، ومنهجه، وأهدافه وأهميته.

- 2- نبذة عن الشيخ يوسف القرضاوي.
- 3- أثر الحضارة الإسلامية على الغرب.
- 4- أسس شبهة أن الإسلام يتعارض مع العلم.
- 5- منهج الشيخ القرضاوي في الرد على الشبهة.
- 6- نتائج البحث.

2. نبذة عن الشيخ يوسف القرضاوي⁽¹⁾:

حري بنا قبل البدء في تناول تلك المحاور أن نشير إلى ترجمة لسيرة العلامة يوسف القرضاوي وأهم المحطات في حياته.

وُلد الشيخ محمد القرضاوي سنة 1926م في قرية صفط تراب التابعة لمركز المحلة الكبرى بمحافظة الغربية بجمهورية مصر العربية، وعاش يتيما حيث كفله عمُّه، حفظ القرآن في سن مبكرة، ورغم حداثة سنه إلا أنَّه كان يقوم بإمامة الناس في المسجد نظرا لأخلاقه وأدبه الجم، ثم التحق بعد ذلك بمعاهد الأزهر حيث أتم دراسته الابتدائية والثانوية، ورغم وضعه الاجتماعي المزري إلا أنَّه كان في طليعة المتفوقين ومن الأوائل على المستوى الوطني، وقد حظي بمكانة وإعجاب لدى أصدقائه ومشايخه.

حصل الشيخ على شهادة العالمية بكلية أصول الدين جامعة الأزهر سنة 1953م، ثم على شهادات أخرى منها: العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة 1954م وكان ترتيبه الأول، وعلى دبلوم معهد الدراسات العربية العالمية في اللغة والأدب سنة 1958م، وعلى الشهادة المعادلة للماجستير في شعبة علوم القرآن والسنة سنة 1960م، وحصل في سنة 1973م على شهادة الدكتوراه من جامعة الأزهر بعنوان: "الزكاة وأثرها في حل المشكلات الاجتماعية" وكانت بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف الأولى.

سافر الدكتور يوسف القرضاوي إلى قطر في سنة 1971م، حيث عُيِّن مديرا للمعهد الديني هناك، وساهم في تأسيس كليتي التربية للبنين والبنات وعمل مدرسا فبهما، كما عُيِّن عميدا لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقد كُلف بوضع المنهج الدراسي لهذه الكلية وكان ذلك سنة 1974م.

كان الشيخ القرضاوي معاصرا لثُلَّة من المفكرين والمثقفين في عصره في الوطن العربي من أمثال المفكر الباكستاني محمد إقبال (1877-1938م)، والمفكر الجزائري مالك بن نبي (1905-1973م)، والمفكر الجزائري محمد أركون (1928-2010م) وغيرهم، كما كان لبعض المشايخ والعلماء تأثير كبير على شخصيته، سواء على المستوى العلمي أو الفكري أو الثقافي أو السياسي، ومنهم: الشيخ محمد عبد الله دراز (ت 1958م)، ومحمد البهي (ت 1982م) وغيرهم، كما كان متأثرا بمدرسة الإصلاح وعلى رأسها

(1) ينظر، يوسف القرضاوي، ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة، ص 25، وحسين محمد إبراهيم، منهج الشيخ يوسف محمد القرضاوي في الفتاوى الشرعية، (مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، المجلد 43 العدد 1، 1445هـ، جامعة قطر).

"حسن البنا"، بالرغم من أن الشيخ لم يكن مقلدا لكل من تأثر بهم واختار لنفسه منهجا خاصا به خاصة في الفقه والفتوى.

كان الشيخ يوسف القرضاوي عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف حتي عام ألفين وثلاثة عشر، كما كان أمينا عاما لاتحاد علماء المسلمين منذ تأسيسه في عام ألفين وأربعة حتي وفاته في عام ألفين واثنين وعشرين، وقد وافته المنية في يوم الاثنين الثلاثين من صفر عام ألف وأربعمئة وأربع وأربعين من الهجرة، الموافق السادس والعشرين من سبتمبر 2022 ألفين واثنين وعشرين من الميلاد، عن عمر ناهز ستة وتسعين عاما في الدوحة عاصمة قطر، تاركا وراءه إرثا من الإنتاج الديني والفكري والثقافي.

3. تأثير الحضارة الإسلامية في الغرب

مما لا شك فيه أن الحضارة الإسلامية التي ازدهرت بعد توسع الدولة بسبب الفتوحات أفادت الغرب من علومها في شتى الميادين بعد أن حضنت النصيب الأكبر من التراث القديم وأمدته بالحياة، ثم امتزج التاريخ الإسلامي بالتاريخ الغربي امتزاجا مستمرا سواء في الحرب أو في السلم ونهلت الحضارتان من معين واحد، وقد ألف كثير من مفكري الإسلام في هذا الأثر فمنهم على سبيل المثال عباس العقاد في مؤلفه "أثر العرب في الحضارة الأوروبية"، وقد كان من المستشرقين -لا سيما الفرنسيين منهم- من سار ضد هذا الطرح متهما وقادحا في الإسلام، وكان منهم (كلود كاهين) الذي طعن في أصالة الفكر العربي الإسلامي وشكك في حقيقة ما توصل إليه المسلمون من إنجازات، فهو -أي كلود كاهين- يعترف بعجزهم في تدوين تاريخ العلوم العربية قائلا: "لا يزال من المتعذر علينا كتابة تاريخ للعلوم العربية إذ يقتضينا هذا الموضوع أن نحيط بآثار لا يفهمها إلا المتخصصون في اللغة والمتخصصون في الفروع العلمية المعينة"⁽¹⁾، وقد رد الشيخ القرضاوي على ما طرحه كاهين، ولو أنه توسع في الاستشهاد بما ورد في كتاب المستشرق "كلود كاهين" Claude CAHEN (1991/1909م)، لكَمَّ كل الأفواه، فالكَم الهائل من المؤلفات في شتى العلوم والمعارف، والتي لا يمكن إحصاؤها أعجزت المستشرقين من الوصول إليها والإلمام بها وكل هذا بسبب عجزهم عن فهم اللغة العربية، أحد مقومات الأمة الإسلامية وأساس نهضتها ورقمها.

ويكفيينا فخرا أن لمعت في سماء الأندلس -بعد استقلالها الفكري- أسماء لعلماء فطاحل من أمثال: "ابن رشد وابن زهر وابن طفيل الذي تُرجمت كتبه إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية، وابن باجة وابن خلدون وغيرهم"، ومازالت هذه المؤلفات إلى الآن يتدارسها الغربيون في جامعاتهم، ويطبّقون ما جاء فيها من علم سواء في مجال الطب والعلوم التجريبية وغيرها، فمثلا القانون في الطب لابن سينا لا يزال يتم تدريسه والاستفادة منه في جامعات أوروبا، بل وهناك من المتخصصين المعاصرين في الجامعات الفرنسية وغيرها في التراث الرشدي من أمثال جون باتيست برونيه jean BabtisteBrenet⁽²⁾، وفي تراث أبي بكر

(1) كلود كاهين، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، ص 6.5.

(2) جان باتيست برونيه، الفيلسوف الفرنسي المستعرب، وأستاذ الفلسفة العربية بجامعة باريس الأولى، الذي بدأ بتعلم اللغة العربية (في التسعينيات)، ثم أصبح أستاذًا جامعيًا وبروفيسورًا (في العام 2011) للفلسفة العربية.

الرازي من أمثال ريمي براغ Rémi Brague، وتراث أبي حامد الغزالي من أمثال إيمانيل بيزاني⁽¹⁾ Emmanuel Bizzani، وفي حقل الفلسفة العربية من أمثال بيار لوري⁽²⁾ Pierre Lorry، وغيرهم الكثير. وعلى ضوء هذا فإنَّ عجلة القيادة الحضارية تدور، وبُنيت كل حضارة على منجزات حضارات سابقة لها، وأخذت منها وتأثرت وأثرت في غيرها، فالشيخ يوسف القرضاوي يرى أنه لا ضير في أن يأخذ المسلم من حضارة الغرب التي تميزت بتطورها في مجال العلم التطبيقي -كالصناعة والتكنولوجيا- الذي هو في الأصل مقتبس من الحضارة الإسلامية التي منحت أوروبا المنهج التجريبي، الذي أخذه "روجر بيكون"⁽³⁾ و"فرنسيس بيكون"⁽⁴⁾ من المسلمين، حيث استشهد بما كتبه "غوستاف لوبون"⁽⁵⁾ و"جورج سارتون"⁽⁶⁾ وغيرهم من الغربيين أنفسهم، دون أن ينكر ما وصل إليه الغرب من تطور وتقدم خاصة في مجال الثورة التكنولوجية والبيولوجية والالكترونية والفضائية والمعلوماتية، مبينا أنَّها مكاسب للبشرية جمعاء⁽⁷⁾.

حمل الشيخ القرضاوي رسالة الإسلام الفقهية والدعوية والفكرية، كما حملها غيره من الدعاة والعلماء كالشيخ محمد الغزالي /، موضحاً مفاهيم هذا الدين، ومفاهيمه في التعامل مع المسلم وغير المسلم، ومشاركاً في كل مجلس أو حوار بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين وغيرهم بغرض إرساء فقهٍ رشيد، وإبراز سماحة ديننا الحنيف، والدفاع عن الثوابت والأصول والمبادئ التي يدعو إليها الإسلام، والتصدي للمغرضين والمناوئين للإسلام والمسلمين، بهدف نشر العلم والمعرفة، والتحلي بروح التعاون والشراكة بين دول وحضارات العالم بأسره.

4. الغرب والاستشراق في فكر الشيخ القرضاوي

كان الشيخ القرضاوي من علماء السنة البارزين في العصر الحديث، وله تأثير كبير في العالم الإسلامي من خلال كتاباته ومقالاته التي يعبر فيها عن حميته ودفاعه عن كل ما له صلة بالدين والقرآن، وكل ما يمسُّ العقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي من شبهات وأباطيل، وحارب كل من هاجم الإسلام والمسلمين من أفكار مغلوطة أو مدسوسة بهدف تشويه هذا الدين وتعاليمه، خاصة من بعض الفئات التي تسير وراء

(1) إيمانويل بيزاني هو عالم لاهوت فرنسي، ويدير المعهد الدومينيكي للدراسات الشرقية (IDEO) في القاهرة. كما أنه رئيس تحرير مجلة المعهد ومدير معهد علوم ولاهوت الديانات في المعهد الكاثوليكي في باريس.

(2) بيار لوري: مدير الدراسات في "المدرسة التطبيقية للدراسات العليا"، ويتربع على كرسي الدراسات الإسلامية في كلية العلوم الدينية.

(3) روجر بايكون (611/1220 هـ - 693/1292 هـ)، ويعرف أيضاً باسم Doctor Mirabilis أي «المعلم المذهل» باللاتينية، كان فيلسوفاً إنجليزياً وراهباً فرنسيسكياً.

(4) فرانسيس بيكون (بالإنجليزية: Francis Bacon) (م 22 يناير 1561 - 9 أبريل 1626) فيلسوف ورجل دولة وكاتب إنجليزي، معروف بقيادته للثورة العلمية عن طريق فلسفته الجديدة القائمة على «الملاحظة والتجريب». من الرواد الذين انتهوا إلى عدم جدوى المنطق الأرسطي الذي يعتمد على القياس. لُقِّبَ بيكون بأب التجريبية.

(5) غوستاف لوبون (7 مايو 1841 - 13 ديسمبر 1931) (بالفرنسية: Gustave Le Bon) طبيب ومؤرخ فرنسي. عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا.

(6) جورج ألفريد ليون سارتون، كيميائي ومؤرخ أمريكي بلجيكي المولد. يعتبر مؤسس تخصص تاريخ العلوم كمجال دراسة مستقل. له إسهامات كثيرة في تاريخ العلوم.

(7) كلود كاهين، المرجع السابق، ص 329.

أفكار العلمانيين، وتتبنى منهجهم وتتفق وآراءهم المغلوطة من بني جلدتنا، وكان موقفه واضحاً إزاء الدين والعلم، فصّرّح في مختلف المجالس وعبر منابر عديدة أنّ الدين هو العلم والعلم هو الدين، وأنّه لا تعارض مطلقاً بينهما، وأنّه لا قياس بالمجتمع الإسلامي على المجتمع الغربي، واستند لما يقوله الأصوليون أنّ هذا قياس مع الفوارق العديدة، فتاريخ المجتمعات الغربية وعقائدهم وتشريعاتهم ومقاييسهم غير تاريخ وعقائد وتشريعات ومقاييس المجتمعات الإسلامية، ولم يحدث في الإسلام ما حدث عند الغربيين من صراع بين العلم والدين، بل الدين عندنا علم والعلم عندنا دين⁽¹⁾.

ويقصد القرضاوي بالصراع هنا ما حدث من خلافات ونزاع بين رجال الدين المسيحي وعلماء الغرب، وما شنته الكنيسة من هجوم وعدوان ضد كل من يدعو إلى علم أو اختراع أو ابتكار، وما محاكم التفتيش إلا دليل كبير على اضطهادهم للعلماء ووقوفهم ضد العلم.

وبحكم انتقاله - /- الكثير وكثرة زيارته لمختلف دول العالم الغربي، فإنّ له تأثير كبير على حياة المسلمين في العالم، وكانت له صلة وعلاقات بمفكرين وعلماء ورجال دين ومستشرقين أيضاً، فقد دار حوار بينه وبين أحد المستشرقين المعاصرين الألمان من خلال المراسلات التي نُشرت في موقع الشيخ القرضاوي الرسمي.

وقد كتب المستشرق "وندلين ونزل تيوبر"⁽²⁾ الألماني الجنسية، كتاباً عن الشيخ القرضاوي، وقام بمراسلته ليستفسر عن عدة قضايا شائكة، ليعزز بها كتابه، المبادرة التي أعجب بها الشيخ القرضاوي، وصرّح بأنّ هذا الأمر من شأنه تعزيز العلاقة بين المستشرقين والعلماء والمفكرين المسلمين، والحقيقة أنّ المستشرقين عموماً لا يألون جهداً ولا يفوتون فرصة في تنظيم حوارات أو لقاءات من أي نوع مع العلماء

(1) يوسف القرضاوي، العلم والدين بين الغرب والإسلام، شوهد يوم: 2023/05/20م الموقع:

<https://www.youtube.com/watch?v=ORldcwajaml>

(2) وندلين ونزل تيوبر: حاولت البحث عن سيرة أو ترجمة لهذا المستشرق، ولكن تعذر علي ذلك، فلم أجد معلومات عنه في ما أتبع بين يدي من وسائل البحث، ولعدم تمكني من اللغة الألمانية، لكي توصلت من خلال الحوار الذي دار بين الشيخ القرضاوي وبين هذا المستشرق، أنّه طالب دكتوراه ويكتب في موضوع محوره فكر الشيخ القرضاوي السياسي الإسلامي، وأرسل إليه رسالة باللغة العربية لطرح بعض الأسئلة المتنوعة، ليكون مرجعاً أو مصدراً لما يكتبه، وكل ما تحصلت عليه خلال البحث هو ملخص الدراسة التي كتبها عن القرضاوي واجتهدت في ترجمتها من الألمانية، slamische Ethik und moderne Gesellschaft im Islamismus von Yusuf al-Qaradawi، وهي: "الأخلاق الإسلامية والمجتمع الحديث في فكر يوسف القرضاوي". ومضمون الكتاب حول شخصية القرضاوي التي اعتبرها الكاتب شخصية محورية في التيار الإسلامي المعاصر، وأن كتاباته مناسبة لتكون نموذجاً لأجوبة عن أسئلة كثيرة تعبر عن فكر الإسلاميين المعتدلين، كما يبحث هذا الكتاب بعمق عن كيفية دمج الأصالة والتقليد في ذهن القرضاوي مع التحديث الضروري، لا سيما تصويره لتطبيق الشريعة الإسلامية في العالم المعاصر، وكيفية تطبيق الحل الإسلامي، وما دور القيم والأخلاق ضمن هذا المشروع، وعن الاستراتيجيات التي يوصي بها القرضاوي لتحقيق هذه الأهداف. [= المصدر: <https://www.perlentaucher.de/buch/wendelin-wenzel-teuber/islamische-ethik-und-moderne-gesellschaft-im-islamismus-von-yusuf-al-qaradawi.html>

والمفكرين المسلمين، من أجل البحث عن الموارد الفكرية والثقافية والعلمية وبأي شكل من الأشكال وبأي أسلوب من الأساليب.

ومن جهة أخرى فإن فكرة التعامل مع العلماء المسلمين ليست وليدة اللحظة، فقد التقى كثير من المستشرقين الرحالة الذين تنقلوا بين الدول العربية والإسلامية والتقوا بمفكرين وعلماء مسلمين ونهلوا منهم مختلف العلوم، ومثال ذلك المستشرق الفرنسي لويس ماسينيون LouisMASSIGNON (1883/1962م) الذي حلّ ضيفا سنة 1908م على أسرة "الألوسي" ببغداد وهي أسرة علم مشهورة تعلم من خلالها أمورا كثيرة، ونشأت بينه وبينها صداقة حميمة، كما كانت له علاقات مع علماء الأزهر نتيجة احتكاكه بهم، عندما كان مقيما بها وألقى دروسا في الفلسفة داخل جامعة الأزهر.

لقد كان لمراسلة المستشرق الألماني -السابق ذكره- مع الشيخ القرضاوي تأثيرا في نفسه، إلى درجة أنه كتب عنها مقالا عنوانه: بيني وبين المستشرق الألماني "وندلين ونزل تيوبر" - وهي منشورة على الموقع الرسمي للشيخ- وما أشار إليه الشيخ أن مثل هذه المبادرات قلما تحدث مع المستشرقين الذين ألفناهم يكتبون لأنفسهم أو لبعضهم البعض وكان هذا الأمر في بدايات الاستشراق، حينما كان خطر الدين الإسلامي واقع، والخوف من توسعه واعتناق الغربيين له محتمل الوقوع بسبب توسعه وازدهار شعوبه في كل المستويات، فكان المستشرقون يشوهون الإسلام عبر كتاباتهم لينقروا منه الناس، أما اليوم فقد أصبحت كتاباتهم في أغلبها عامة أو موجهة للمسلمين، خاصة بعد تغلب المسلمين على عقدة الاستشراق وتجاوزهم لها، وتصديهم لافتراءاتهم وشن منهج نقدي ودفاع فكري مضاد لها.

5. مواطن الرد على شبهات المستشرقين في كتابات الشيخ القرضاوي

ألف الشيخ القرضاوي مؤلفات عديدة تناول فيها مختلف العلوم النقلية والعقلية، واهتم بمختلف القضايا الفكرية والفقهية، كما تطرق فيها إلى عدد من شبهات المستشرقين وتكفل بالرد عليها، ومن هذه المؤلفات التي اعتمدها في هذه الدراسة:

1/كتاب "الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفترين"؛ ويتضمن الرد على شبهات مختلفة متعلقة بالقرآن والسنة النبوية الشريفة والفقه وغيره.

2/كتاب "التاريخ المفترى عليه"، وهو كتاب تاريخي تضمن أغلب الشبهات المتعلقة بالتاريخ الإسلامي والخلافة الإسلامية والخلفاء الراشدون وردود الشيخ القرضاوي عليها.

3/كتاب "البابا والإسلام"؛ وهو كتاب يرد فيه على الهجوم الذي شنه البابا على الإسلام ونبه صلوات الله وسلامه عليه، مبررا هذا الهجوم على أنه جاء إرضاء لرئيس الولايات المتحدة الأمريكية آنذاك "الرئيس بوش"، وللكيان الصهيوني مؤازرة ودعمهما لهما لمحاربة الإسلام تحت ما يسمونه "محاربة الإرهاب".

4/كتاب "نحن والغرب"؛ ويحتوي على مجموعة من الحوارات بين القرضاوي والغرب في شكل أسئلة شائكة تمحورت حول الحضارة الإسلامية والغربية وفترات انحسارهما وازدهارهما، وعن مختلف القضايا التي تشغل فكر الشيخ القرضاوي، ورأيه فيها سواء كانت حول الإسلام أو علاقته بالغرب.

5/كتاب "بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين"؛ وهو كتاب مهم عرض فيه الشيخ القرضاوي جملة من الاتهامات حول مشروعه "الحل الإسلامي" وحاول من خلال هذا الكتاب - الذي صدر له في ثلاثة أجزاء- الردّ على أهم الشبهات مما أطلقها أصحابها ومفادها أن الدين لا يتماشى وعصر العلم والتكنولوجيا فهو سبب الجمود، ولولا أن انفصل الغرب وتحرر من الدين ومن سيطرة الكنيسة لما وجد سبيلا إلى العلم ولما شهد هذا التطور اليوم⁽¹⁾.

6/كتاب "في فقه الأقليات المسلمة"؛ وهو كتاب قيّم تابع من خلاله الشيخ القرضاوي أحوال الأقليات المسلمة التي تعيش خارج المجتمعات الإسلامية في مختلف مناطق العالم، وبحث في مشكلاتهم في الغرب التي تحتاج إلى حلول في ضوء الشريعة الإسلامية، والعمل على تفقيه هذه الأقلية وترشيدها بحسب أحوالها وأوضاعها هناك.

7/كتاب "الصحة الإسلامية بين الجمود والتطرف"؛ وهو كتاب شهد انتشارا كبيرا بين صفوف المسلمين، عالج من خلاله الشيخ القرضاوي قضية الغلو في الدين أو بالاصطلاح المعاصر "التطرف الديني" التي تعدّ من أعظم القضايا خطرا على الصحة الإسلامية، وإن كان الشيخ القرضاوي يُرجع أسبابها الأساسية إلى عوامل داخلية بالدرجة الأولى، إلا أنّ العامل الخارجي كان له تأثير كبير على الأمة، والاستشراق هو المصدر الأكبر لكل القوى المعادية للإسلام لا يمكن الاستهانة به وبمخططاته، التي ربطها بين ماضيه وحاضره ثم تجلّى في تلك الحركات والتيارات المعادية للإسلام وتحاول على جميع الأصعدة ضربه والإساءة إليه سواء عقديا أو فكريا، بهدف فصل الدين عن حياة المسلمين وعلومهم، والحيلولة دون تقدمهم وازدهارهم.

هذه الأعمال من المؤلفات للشيخ القرضاوي ما هي إلّا غيض من فيض، فلم يترك مجالا فيها إلا وبين قيمة العلم في الإسلام وعند المسلمين، وأنّه سبب ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، التي لها فضل وتأثير كبير على الحضارة الغربية، بالإضافة إلى عدد كبير من المقالات والمحاضرات والندوات والمؤتمرات التي كان يقوم فيها القرضاوي بالتصدّي والردّ على كل أنواع الاتهامات والادعاءات.

6. أسس شبهة الإسلام يتعارض مع العلم

أجاب الشيخ القرضاوي-رحمة الله عليه-على سؤال أحدهم حول رأيه فيما يمارسه الغرب من تشويه للإسلام؟ فأجاب: "بأنّ تشويه الغرب للإسلام ليس وليد اليوم، ولا ابن الأمس، إنّهُ أمر قديم قدم الصراع

(1) يوسف القرضاوي، بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين، ص5.

بين الإسلام والمسيحية الأوروبية، منذ عهد الحروب الصليبية، بل منذ عهد فتح الأندلس ومعركة بواتيه وغيرها⁽¹⁾ وتأتي هذه الإساءة في أشكال مختلفة، منها: الطعن في العقيدة، وضرب السنة النبوية الشريفة، والافتراء على التاريخ، أو الصحابة والعلماء، ومنها إطلاق الشبهات حول أصالة الفكر عند المسلمين، ومن هذه الشبهات: قولهم بأنّ الدين يتعارض مع العلم ويعيقه، وقد تطرق الشيخ القرضاوي لهذه القضية مرات كثيرة وفي مناسبات عديدة.

إن أول من أثار هذه الشبهة المستشرق الفرنسي "إرنست رينان (Ernest RENAN 1823/1892)"، ضمن المحاضرة التي ألقاها على طلبته في جامعة السوربون الفرنسية في 29 مارس 1883م وكان عنوانها: "الإسلام والعلم" والتي انتشرت في الوسط الفكري العربي والغربي، وعُرفت "بمناظرة رينان والأفغاني" (1897/1838م)⁽²⁾، حيث تبادلوا الرسائل عبر جريدة لوديبا الفرنسية «Le Debat»، وملخص ما ألقاه في هذه المحاضرة: أنّ الدول العربية التي يحكمها الإسلام تعيش في انحطاط وتدني بسبب هذا الدين، وكل الأجناس التي تخضع لهذا الدين وتستمد ثقافتها وتعليمها منه تعاني من عجز فكري⁽³⁾ وكان لهذه الفكرة خلفية عرقية عنصرية للمستشرق رينان، ومفاد هذه النظرية أنّ العقل العربي المسلم عاجز عن الإبداع والإتيان بالجديد، مما دفع المسلمين بالنقل والتقليد من علوم الأوائل، ومبرره هو أنّ العرب ينحدرون من الجنس السامي القاصر والذي يتصف بالجمود، خلافا للفرد الأوروبي الذي ينحدر من الجنس الآري المتفوق فكريا وفلسفيا⁽⁴⁾. وعلى الرغم من أن العلم الحديث أبطل هذه النظرية وقرر عدم جديتها، ولقيت ردودا مناهضة من الفكر الإسلامي باعتبارها لا تقوم على أساس منهجي علمي، إلا أنّ تأثيرها كان له صدى على المدى البعيد.

وقد صرّح المستشرق رينان - صاحب النظرية العرقية أو كما أطلق عليه مهندس أسطورة "تفوق الجنس الآري ودونية الجنس السامي" - في كتابه الشهير "تاريخ اللغات السامية" بأنّه "أول من عرف أنّ الجنس السامي إذا قوبل بالجنس الهندي الأوروبي، يعتبر حقا تركيبا أدنى للطبيعة الإنسانية، فالروح السامية تمتاز بالوحدة والبساطة أما الروح الآرية فإنها تمتاز بالكثرة والتعقيد، والساميون يعتنقون

(1) القرضاوي، نحن والغرب، ص 177.

(2) مناظرة رينان والأفغاني: جاءت تباعا للمحاضرة التي أُلقيت على طلبة جامعة السوربون من قبل المستشرق إرنست رينان، في 29 مارس 1883م، بعنوان: الإسلام والعلم L'islam et la science، ونُشرت في جريدة "الديبا الفرنسية Le Débat"، ومضمونها أنّه لا يمكن أن يكون للعرب والمسلمين إبداع علمي وفلسفي وتزامن إلقاء المحاضرة بتواجد الشيخ جمال الدين الأفغاني (1897/1838م) وثلة من المفكرين العرب بفرنسا آنذاك، وقام الأفغاني بالرد على تلك المحاضرة في مقال بنفس الجريدة يوم 18 ماي، ورد عليه رينان في السوم التالي، 19 ماي، وكانت ردود الأفغاني حول تلك الشبهة محاولا الدفاع عن الإسلام والحضارة الإسلامية... إلخ، ومن ثم اشتهرت بمناظرة رينان والأفغاني. = ينظر: محمد الحداد، الأفغاني صفحات مجهولة من حياته، ص 121. أيضا: [عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، ص 34].

(3) Renan/Al-Afghani, Le journal des Débat. (1883).

(4) سامية جبارة، أصالة الفلسفة الإسلامية في الاستشراق الفرنسي، ص 185.

التوحيد المطلق الذي يتماشى مع فطرتهم الساذجة، وقد أثر هذا على نظمهم السياسية والاجتماعية والدينية⁽¹⁾.

انطلاقاً من رؤية وفكر المستشرق الفرنسي إرنست رينان، في كتاب آخر عنوانه "مستقبل العلم"، الذي استبعد كل فكر وتطور في ظل الدين، وأنّ الدين هو عائق لأي تقدم، وقد سبق رينان المستشرق الألماني جوتليب تنمان G.TENNEMANN (1819/1761م) الذي يُعرف بعنصريته وعدائه الشديد للإسلام، معتبراً إياه سبب تخلف المسلمين، وأنّ كتابهم المقدس (القرآن)، وضع أمامهم حواجز للنظر العقلي الحر⁽²⁾.

رغم أنّ عصر رينان وغيره من المستشرقين يبعد عنا بأكثر من قرن من الزمن إلا أنّ صدى نظريته انتقل إلى العلمانيين وأصحاب اليسار واليمين الذين أشار إليهم الشيخ القرضاوي، وتبنوا هذا الموقف، واعتبروا الدين مضاداً ومعادياً للعلم ولأي تطور وتقدم علمي، ولا تقوم حضارة بوجود الدين⁽³⁾.

7. منهج القرضاوي في الرد على شبهة المستشرقين

تصدى الشيخ يوسف القرضاوي للحركات والمذاهب العلمانية والاستشراقية بخاصة بكل ما أوتي من جهد وسعة صدر وبمنهج عقلاني رصين، فكان له منهجٌ في التغيير والتجديد انتهج فيه أسلوب الوسطية والموازنة بين العقل والنقل، وذلك لتأثره بالمنهج الأزهري الذي يعتمد على منهج أهل السنة والجماعة من أصحاب الحديث والرأي أو الأشاعرة، في خطابه وردوده على المستشرقين التي أخذت طابع الهدوء في أغلب الأحيان.

كان الشيخ يوسف القرضاوي مُوفقاً إلى حد كبير في استنباط الأدلة الشرعية من الوحي للرد على دعاة التغريب والعلمانية من بني جلدتنا، كما كان ردّه على شبهات المستشرقين بمنطق العلم والعقل، لأنّ الاستدلال بالوحي وحده ليس منهجاً سليماً في مواجهة من لا يدين بدين الإسلام، ولا يؤمن بعقيدة المسلمين ولا بما جاء به الوحي ولا بما أرسل به سيد المرسلين، ولأنّ المستشرق وغيره من غير المسلمين يستندون في الواقع إلى أدلة منطقية مادية بحتة، ومنه مواجهتهم بنفس أسلحتهم للرد على أفكارهم ودحض نظرياتهم المضللة.

وقد استندل على بطلان الجمود في الفكر الإسلامي بأدلة من الواقع الإسلامي، ونماذج كان لها الدور في تطور العلوم عند المسلمين وازدهارها، بل وكان لها تأثير كبير على الحضارة الغربية، فأشاد بما توصل إليه العالم الفلكي والفيلسوف الرحالة "محمد بن أحمد البيروني" (973م/1048م) الذي انطلق من الوحي

(1) Ernest RENAN, Histoire générale et système comparé des langues sémitiques, (1863) p.415

(2) Guillaume TENNEMANN, (1839), Manuel de l'histoire de la philosophie, traduit de l'allemand par V.COUSIN, p.278

(3) مونتجمري وات، فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية، ترجمة: حسين أحمد أمين، ص 183.

للوصول إلى الحقائق العلمية والتي وردت في القرآن ولم تتناقض معها، واستشهد بما أشاد به المستشرق الألماني ت.ج.ديبور إلى ما توصل إليه البيروني في كتابه "تاريخ الفلسفة في الإسلام" وأنه كان يعتمد على الدين أكثر في مختلف الاكتشافات العلمية التي يتوصل إليها مقتبسا من القرآن كلما احتاج إليه من ألفاظ وكلمات، وكل هذا لبرز الشيخ القرضاوي قيمة العلم في الإسلام.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشيخ القرضاوي في أغلب كتبه التي تضمنت الشبهات الاستشراقية، والافتراءات الغربية على الإسلام لم يقتصر على إيراد الجانب السلبي فقط للفكر الاستشراقي، وإنما استدل ببعض المنصفين من المستشرقين استدلالا على مناقضتهم ومعارضتهم للمستشرقين أنفسهم.

1.7. إيجابيات الفكر الاستشراقي عند الشيخ القرضاوي:

تباينت مواقف المستشرقين بصورة كبيرة من الإسلام عموما، على نحو يصعب معه القول أنّهم اتخذوا موقفا محددا وإنما تراوحت مواقفهم إزاء هذه القضية- العلم والدين- ما بين الظلم والإنصاف، وإن كانت فئة المنصفين قليلة جدا مقارنة بفئة الظالمين أو الحاقدين على الإسلام، وقد كان الشيخ القرضاوي أكثر إنصافا من المستشرقين، بحيث استشهد في مؤلفاته بنماذج منهم ممن أنصفوا الإسلام وأبطلوا دعوى بعض المستشرقين منهم بتعارض الدين مع العلم، واعترفهم بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب، وفضل العلوم الإسلامية على العلوم الغربية.

ذكر الشيخ القرضاوي نماذج من المستشرقين من أمثال: غوستاف لوبون Gustave Le Bon (1841/1931)، في كتابه الشهير "حضارة العرب Civilisation des arabes" وقد تضمن هذا الكتاب مدى دقة "لوبون" في عرض التفوق الذي آل إليه المسلمون بفضل جديتهم وتفانيهم، وحيهم للعلم والبحث، ويلاحظ أنّ الشيخ القرضاوي لا يُحيل المعلومات إلى مصادرها بدقة، ولكن الأمر لم يكن عسيرا للوقوف على ما كتبه المستشرق "لوبون" في كتابه وهو ما ذكره الشيخ في أحد مؤلفاته، وزد على ذلك ما اعترف به "لوبون" في هذا الكتاب قائلا: والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، وإذا كانت هنالك أممٌ تساوت هي والعرب في ذلك فإنك لا تجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل⁽¹⁾.

وذكر القرضاوي على سبيل الإنصاف المستشرق سيديلو Sidillo (1808/1875م)، الذي اعترف بأسبقية العرب للمنهج العلمي، وما كانت تتميز به مدارس بغداد من روح علمية صحيحة كانت أساسا لأعمالها ومنجزاتها، ويشيد بامتلاك العرب للمنهج التجريبي في القرن التاسع من الميلاد، ولم يصل هذا المنهج إلى أوروبا إلا في القرون الوسطى وقد أخذته من العرب⁽²⁾.

(1) غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعيتر، (القاهرة: مؤسسة هنداوي، 2013م)، ص 450.

(2) القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، ص 17.

وذكر كذلك المستشرق ت.ج.ديبور الذي أشاد بما توصل إليه البيروني من حقائق وما أنتجه من علوم، متمسكا بحقائق الدين الموصل لها، فاعتماده على الدين هو العلم بذاته⁽¹⁾.

ومن المستشرقين الذين يعتبر القرضاوي أنهم أنصفوا العلم العربي المستشرق "مونتجومري وات" في كتابه "فضل الاسلام على الحضارة الأوروبية" حيث يشيد بإنجازات المسلمين حيث بلغوا شأوا بعيدا في الإلمام بعلم الطب، لدرجة أنهم سبقوا أسلافهم بمراحل، وانما تحقق لهم هذا إذ جمعوا بين المعرفة النظرية الواسعة والمران العملي الذي دونوا أثناءه الملاحظات الثقافية الدقيقة⁽²⁾.

كما لا يغيب ذكر المستشركة الألمانية "زيغريد هونكه" في ثنايا كتابات القرضاوي، هذه الأخيرة التي كانت دائما محل استشهاد المفكرين باعترافاتها بفضل العرب على الغرب وأعربت عن هذا الفضل وعن مبرر تأليفها للكتاب في مقدمته قائلة: "وعلى الرغم من هذا - أقولها بمرارة- فإنّ الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب..."⁽³⁾.

إلى قولها: "...لهذا صمّمتُ على كتابة هذا المؤلف، وأردتُ أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطني فرصة العود إلى تكريمها، كما أردتُ أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرّمهم من سماعه طويلا تعصّب ديني أعى أو جهل أحمق"⁽⁴⁾.

وإن كانت ردود الشيخ القرضاوي -على شهادات المستشرقين واستشهاده بأرائهم ومواقفهم- تفتقر إلى حد ما للمصادر والمراجع الاستشراقية إلا اعتماده على بعض ما تُرجم منها، ولعل هذا يشير إلى عدم تمكن الشيخ القرضاوي من اللغات الأخرى كالانجليزية وهو ما استخلصناه في سياق حديثه عن "الكراسة الرمادية" في أحد كتبه قائلا: وقد انتظرنا حتى تُرجم إلينا نصّها الكامل من الانجليزية إلى العربية وقرأناها كلمة كلمة⁽⁵⁾.

إن كانت الحضارة الغربية استمدت علومها وبنّت حضارتها على ما استمدته من الحضارة الإسلامية فهي تفتقر إلى دين تحتكم إليه وتسير على شريعته؛ لأنّها بالأساس عادت الديانة المسيحية بسبب معاداة هذه الأخيرة للعلم ويتجلى ذلك في سلوكيات من يمارسون الدين المسيحي من رجال الكنيسة، أما الحضارة الإسلامية وإن استمدت بعض العلوم والمعارف من حضارات الأمم السابقة وطورتها، فإنّ للإسلام - بحسب الشيخ القرضاوي- مصادر محددة، تُعرف منها رسالته ووجهته ولا يمكن أن يحكم له أو عليه بالاستعداد من غيرها، وهذه المصادر التي لا يغفل عنها مسلم هي الكتاب والسنة والاجتهاد.

(1) القرضاوي، الإسلام بين شهادتين الضالين، ص58

(2) ينظر، مونتجومري وات، فضل الإسلام، ص53.

(3) ينظر: زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص9.

(4) المرجع نفسه.

(5) يوسف القرضاوي، شهادتين الضالين، ص2.

فالاتجاه كما عبّر عنه الشيخ القرضاوي، هو تلك الفسحة التي تركها المشرع لعلماء هذه الأمة وفقهاء للاجتهاد فيها بما حباهم الله من علم وفقه وتدبر في كتابه واتباع لسننه، وهو المجال الذي برع فيه العقل المسلم عكس ما كان يدّعيه أصحاب النظرية العرقية من المستشرقين الذين يهدفون إلى الحجر على هذا العقل وإخراجه من دائرة الإبداع والتقدم.

ونحسب الشيخ القرضاوي ممن اجتهدوا طيلة مسيرته الدينية والفقهية والعلمية والفكرية، فإن أصاب فقد أصاب الأجر كله، وإن أخطأ فنحسبه غير معصوم والعصمة للأنبياء ويكفيه أجر الاجتهاد.

2.7. سلبيات الفكر الاستشراقي عند الشيخ القرضاوي:

عرض الشيخ القرضاوي بعض شبهات المستشرقين في كتابه "بينات الحل الإسلامي" ولم يُحل إلى مصدرها ولا إلى أصحابها، ونلاحظ أنه انتهج في إيرادها منهج التعميم لا الحصر، ولم يخص أسماء معينة بهذه الشبهات، والأصل أنّ تلك الأفكار التي حصرها في سبع شبهات تتفرع من فكرة واحدة وترجع إلى مصدر واحد هو المستشرق الفرنسي أرنست رينان، هذا الأخير الذي كان له تأثير كبير على من أتى من بعده، سواء من المستشرقين من تلامذته، أو ممن تأثروا بفكره ونظرياته وبتوجهه الإلحادي والعنصري، كالعلمانيين والتغريبيين.

بيّن الشيخ القرضاوي حجج أصحاب الشبهات ومبرراتهم، واستشهد بصاحب المدرسة الوضعية، "أوغست كونت" وصاحب جدلية الدين "كارل ماركس" حين انكروا الدين إنما يقصدون الدين الغربي الكنسي وما يتبناه من أفكار تتعارض مع العقل ويرفضها العلم⁽¹⁾.

وصرح الشيخ القرضاوي بأن منهج القياس في القول بأن الحضارة لا تقوم إلا بالعلم قول صحيح، إلا أنّ القول بمعاداة الدين للعلم وإعاقة قول مردود وغير صحيح واستحضر حقيقة من كان يعادي العلم ومهاجم العلماء حقيقة، فلو سلمنا جدلاً بهذا القول لنسبناه إلى الديانة المسيحية وما قام به رجال الكنيسة من اضطهاد للعلم والعلماء⁽²⁾.

يؤكد الشيخ القرضاوي على أنّ العلم لا يتعارض مع الدين على عكس ما يدعيه المستشرقون في قوله: "هذا هو الإسلام الذي قامت على أساسه حضارة علمية واسعة في وقت لم تكن أوروبا ترى فيه النور إلا من سم الخياط، وفي تاريخه الطويل لم يضق صدره بعالم أو باحث كما حدث في أوروبا من معارك بين العلم والدين ومجازر تقشعر لها الأبدان"⁽³⁾.

ولا أدلّ على ذلك من محاكم التفتيش التي وُضعت من قبل رجال الكنيسة والتي تحاكم من خلالها العلماء بإعدامهم وحرق كتبهم، فلا يمكن إنكار تلك الصراعات في أوروبا التي أساسها طغيان رجال

(1) يوسف القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، ص 37.

(2) المرجع نفسه، ص 12.

(3) يوسف القرضاوي، الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفتريين، ص 62.

الكنيسة وهيمنتهم باسم الدين على رجال العلم وقمعهم لكل محاولة ابتكار أو اختراع، فكانوا يحاربون العلم والعلماء باسم الهرطقة والخروج عن تعاليم الكنيسة، وكان الهدف من وراء هذه العمليات والسلوكيات للحفاظ على مكانة الكنيسة ورجال الدين وفرض سيطرتهم لأجل تحقيق غايات مادية ليس أكثر، وهو الأمر الذي دفع بالناس إلى النفور من الدين المسيحي وفقدان الثقة في رجال الكنيسة، فنشأ على إثر ذلك تعارض بين الدين والعلم.

وفي هذا السياق يصرح الشيخ القرضاوي قائلاً: "فقد حفل تاريخ الكنيسة الكاثوليكية في الغرب بمآسٍ ومواقف سلبية، وقفت فيها إلى جوار الجهل ضد العلم...وقامت محاكم التفتيش تعذب كل ذي علم أو فكر جديد، وتحرق العلماء أحياء وأمواتا، وتفرض الظلم والظلام على المجتمعات باسم الدين"⁽¹⁾، والمثير للغربة أن الغرب اليوم مازال يطعن في أصالة الإسلام ويتهمة بما ليس فيه، متناسيا فضله عليه وعلى مجتمعاته وحضارته.

لقد واصل الشيخ القرضاوي جهوده في التصدي لشبهة الدين يتعارض مع العلم التي أراد الغرب ترسيخها في عقولنا، وبأن أسلوب الحزم والإصرار واليقين أن الإسلام جاء ليشرح على العلم ويدعو إلى طلبه والإخلاص في السعي إليه، وأنه بمجيء الإسلام انفتح المسلمون على العالم ووجدوا المناخ المناسب لطلب العلم وللازدهار⁽²⁾، واستدل على ذلك من القرآن والسنة، وفند بذلك ما ادعاه المستشرق إرنست رينان الذي دعا إلى النزعة الإنسانية على حساب الدين.

ورينان علّق سبب تراجع المسلمين وتخلّفهم إلى عقيدة التوحيد التي تعتبر جوهر العقيدة، وتنبأ رينان في كتابه "مستقبل العلم، L'avenir de la science" بما سيؤول إليه الدين مستقبلا وتغلب النزعة الإنسانية على حساب الدين، وردّ كل شيء إلى الإنسان باستبعاد دور الدين وتقديس العلم والخضوع لسيادة العقل، وتجلّى هدف رينان في نشر أفكار الفلسفة الوضعية التي تبناها من تأثره بفلسفة أصحابها مثل هيغل، والتي سلكت طريقا لإبعاد الدين عن التجربة والعلم، فكان رد الشيخ القرضاوي: "بأن عقيدة التوحيد هي التي تحرر الإنسان من الخوف والذل واليأس والكآبة والقلق، وتضع يد المسلم في يد الله وتمدّه بقوة خارقة"⁽³⁾.

(1) القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، ص 37-38.

(2) القرضاوي، المرجع نفسه، ص 26.

(3) القرضاوي، بينات الحل الإسلامي، ص 27.

8. خاتمة

لقد خالصنا في نهاية هذه الدراسة المتواضعة عن جهود الشيخ القرضاوي في الرد على شبهات المستشرقين، والتي نتمنى من الله أن نكون قد وفقنا في الإحاطة ببعض جهوده واجتهاداته في المسائل والقضايا التي تهم الأمة-وماهي إلا غيض من فيض- وهذه بعض النتائج التي ارتأينا ضرورة الإشارة إليها ومن أهمهما ما يلي:

1- إن دراسات المستشرقين حول الإسلام والمسلمين منذ بدايتها في العصور الوسطى إلى عصرنا هذا جرت ضمن سياقات تاريخية واجتماعية ونفسية في طريقة التفكير وتحديد المفاهيم الغربية للشرق عموما والشرق الإسلامي بخاصة، والملاحظ على هذه الدراسات وفق هذه السياقات الفكرية أن هدف الاستشراق هو تقسيم العالم وفصله إلى عالم الغرب الفوقي الذي يُعد هو مركز العالم، والعالم الشرقي الدوني المتخلف الذي تحكمه شريعة ظالمة تحجر على فكره وعقله.

2- يتضح لنا من خلال كتابات الشيخ القرضاوي أنه فطن ومتنبه للمكائد التي يكيدها الغرب للإسلام وللمسلمين، بواسطة التهويل والتضليل، والإرهاب الفكري والنفسي، ولم يتوان عن استغلال كل مناسبة في كتاباته ومؤلفاته، بالرد على كل شبهة والدفاع عن كل اتهام للإسلام وقضاياه، متبعاً منطق العقل والعلم منطلقاً بذلك من الوحي وتعاليم الإسلام.

3- لقد اعتمد الشيخ القرضاوي في تفنيده لحجج المستشرقين إلى المنهج الوسطي وهو التوفيق بين العقل والنقل، وأخذ بمنهج الوسطية بحكم موقفه من الغرب، وانفتاحه على الآخر بحكم التعامل والتبادل العلمي والمعرفي، وهذا المنهج جعله يتقبل الاستفادة من الغرب لكل ما ليس فيه مخالفة لديننا، وما فيه نفع للعلم والتطور للأمة الإسلامية، دون الشعور بالنقص ولا التبعية، مدركاً أن الأخذ من الآخر سنة كونية وطبيعة بشرية استناداً لقاعدة السابق يخدم اللاحق.

4- أن الشبهات التي أثارها الشيخ القرضاوي، وإن مرّ عليها ربح من الزمن، فهي برأي بعض المفكرين تلاشت ولم تعد لها حجية في فكرنا المعاصر، والحقيقة فهي كالجمرة التي تشتعل تحت الرماد، وتأثيرها في نفوس وعقول الجيل الجديد من المستشرقين له بالغ الأثر، وقد بدت هذه الآثار في فكر العلمانيين والتغريبين، الذين ينادون بفصل الدين عن الدولة.

5- أننا لم نجد فيما كتبه الشيخ القرضاوي فيما يتعلق بشبهة تعارض العلم مع الدين، سوى أنه تعوزه الخبرة بمعرفة اللغات الأجنبية المختلفة التي كتب ويكتب بها المستشرقون من كل المدارس.

6- إن التاريخ حافل بإنجازات العرب والمسلمين على مر العصور وبفضل العرب على الغرب، والتراث الإسلامي المظهور يشهد بهذه الإنجازات، فلا المستشرقون ولا الغربيون عموماً يمكنهم تزوير التاريخ والحقائق، لا بافتراءاتهم وتلفيقاتهم ولا بأكاذيبهم وشبهاتهم.

7- وتجدر الإشارة إلى ضرورة تكثيف البحث العلمي والعودة إلى التراث العربي الإسلامي لإبراز النماذج الحضارية التي ساهمت في ازدهار الحضارة الإسلامية من خلال الجمع بين الدين والعلم، وإعادة بناء الوعي لدى الباحثين وفق رؤية تجمع بين أصالة الوعي وفاعلية العقل.

9. قائمة المراجع

- جبارة، سامية، (2022)، أصالة الفلسفة الإسلامية في الاستشراق الفرنسي "دراسة تحليلية نقدية"، قسم العقائد والأديان، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر 1، الجزائر.
- القرضاوي، يوسف، (1994)، بينات الحل الإسلامي وشبهات العلمانيين والمتغربين، القاهرة، مكتبة وهبه.
- القرضاوي، يوسف، (2006)، ابن القرية والكتاب، ملامح سيرة ومسيرة.
- القرضاوي، يوسف، (2006)، نحن والغرب أسئلة شائكة وأجوبة حاسمة، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط1.
- القرضاوي، يوسف، (2011)، الإسلام بين شبهات الضالين وأكاذيب المفتزين، القاهرة، مكتبة وهبه.
- كاهين، كلود (1983)، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية منذ ظهور الإسلام حتى بداية الإمبراطورية العثمانية، بيروت، دار الحقيقة للطباعة والنشر.
- لبون، غوستاف، (2013)، حضارة العرب، ترجمة، عادل زعيتر، القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- محمد إبراهيم، حسين، (1445هـ)، منهج الشيخ يوسف محمد القرضاوي في الفتاوى الشرعية، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر، المجلد 43، العدد 1.
- المراجع الأجنبية
- هونكه، زيغرد، (1993)، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية على أوروبا، بيروت، دار الجيل، ط8.
- وات، مونتجمري (1983)، فضل الإسلام على الحضارة في الغرب، القاهرة، دار الشروق.
- وات، مونتجمري، (1983)، فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية، ترجمة: حسين أحمد أمين، القاهرة: دار الشروق.

10. Bibliography List

- Al-Qaradawi, Yusuf. (1994). Clarifications of the Islamic Solution and the Suspensions of Secularists and Westernized Individuals. Cairo: Wahba Library.
- Al-Qaradawi, Yusuf. (2006). Son of the Village and the Kuttah: Features of a Biography and a Journey.
- Al-Qaradawi, Yusuf. (2011). Islam and the Suspensions of the Misguided. Cairo: Wahba Library.

- Cahen, Claude. (1972). A History of the Arabs and Islamic Peoples from the Rise of Islam to the Beginning of the Ottoman Empire. Beirut: Dar Al-Haqiqa for Printing and Publishing.
- Djebara, Samia. (2022). The Authenticity of Islamic Philosophy in French Orientalism: A Critical Analytical Study. Department of Beliefs and Religions, Faculty of Islamic Sciences, University of Algiers 1, Algeria.
- Ernest Renan, (1863), General History and Comparative System of Semitic Languages, 3rd ed., Paris.
- Guillaume Tennemann, (1839), Manual of the History of Philosophy, translated from German by V. Cousin, second edition, Vol. 1, Paris.
- Hunke, Sigrid. (1993). The Sun of the Arabs Shines on the West: The Influence of Arab Civilization on Europe. Beirut: Dar Al-Jeel.
- Hussein, Muhammad Ibrahim. (1445 AH). The Methodology of Sheikh Yusuf Muhammad Al-Qaradawi in Islamic Legal Opinions (Fatwas). Journal of the College of Sharia and Islamic Studies, University of Qatar, Vol. 43, Issue 1.
- Le Bon, Gustave. (2013). The Civilization of the Arabs. Translated by Adel Zaiter. Cairo: Hindawi Foundation.
- Renan/Al-Afghani, (1883), Le Journal des Débats,. Texts edited and annotated by Vincent Capdepuy.
- Watt, Montgomery, (1983), The Influence of Islam on Western Civilization, Cairo, Dar Al-Shorouk.
- Watt, Montgomery. (1983). The Influence of Islam on European Civilization. Translated by Hussein Ahmed Amin. Cairo: Dar Al-Shorouk.
- Yusuf Al-Qaradawi. (2018). Science and Religion Between the West and Islam. YouTube Video